# الباب الخامس

# العصر الأندلسى

obeikandl.com

obeikandl.com

## الفصل الأول :

# الشعـــــــــر

تطبعت البيئة الأندلسية بالطابع العربي . ودعم الحكام حكمهم بالشعر . فقد استخدموا الشعر كدعامة يدعمون بها سلطانهم . وهم قبل كل شئ عرب الأمزجة يهشون للمديح وينبسطون للثناء والغزل .

**وإذا تتبعنا الشعر الأندلسى نجده يسير علي اتجاهين :-**

***الاتجاه الأول : الاتجاه المحافظ :***

وهو اتجاه تناول فيه الشعراء الموضوعات التقليدية . وكان أبناء العرب يعتقدون أن خير أدب هو ما كتبه آباؤهم . وأن قصارى الأديب أن يأتى بما يشبه إنتاج الشعراء الجاهليين ومن تبعهم في العصر الإسلامي والأموى والعباسي .

ولعل هذا الاتجاه نشأ من كون شعراء عصر الولاة كانوا امتدادا للشعر الأموى. فليس له من أندلسيته سوى أنه قيل في الأندلس . وقد كان شعرهم يميل إلي الخشونة . وبساطة الأفكار والصور . ومع عصر الولاة اهتم الشعراء بالموضوعات التقليدية . كما ساروا علي منهج القدماء في القصيدة تأثرا بالصور القديمة . كما استوحوا أسلوبهم من الواقع التراثي .

ومن شعراء هذا الاتجاه المحافظ "ابن زيدون" الذى صور برهافة حس . وصدق وجدان . تجربته الأليمة التى فارق فيها أهله ووطنه .

*يقول ابن زيدون :-*

هـل تـذكرون غريبـا عـاده شـجنُ

مـن ذكـركم وجفـا أجفانـه الوسـنُ

يخفـي لواعجـه والشـوق يفضـحه

فقـد تسـاوى لديـه السـر والعلـن

يـا ويلتـاه أيبقـي في جوانحـه

فـؤاده وهـو بـالأطلال مـرتهنُ

وأرمـد العـين والظلمـاء عاكفـة

ورقـاء قـد شـفّها إذ شـفّنى حـزنُ

فبـت أشـكو وتشـكو فـوق أيكتهـا

وبـات يهفـو ارتياحـا بيننـا الغصـنُ

يـا هـل أجـالس أقوامـا أحـبهم

كنـا وكـانوا علـي عهـد وقـد ظعنـوا ؟

أو تحفظـون عهـودا لا أضـيعها

إن الكـرام بحفـظ العهـد تمـتحنُ

إن كـان عـادكم عيـد فـربّ فتـى

بالشـوق قـد عـاده مـن ذكـركم حـزنُ

وأفردتـــه الليـــالي مـــن أحبتـــه

فبـــات ينشـــدها ممـــا جنـــى الـــزمنُ

بم التعلـــل ؟ لا أهـــل ولا وطـــن

ولا نـــــديم ولا كـــــأس ولا ســـــكنُ

**الاتجاه الثانى :**

إتجاه حديث يشبه كثيرا الاتجاه الذى تزعمه أبو نواس في المشرق العربي . وكان دور "عباس بن ناصح" كبيرا في تطوير الشعر الأندلسي . فقد أرسل إلي المشرق لجمع الكتب فالتقى في العراق بأبي نواس وسمع شعره فأشاعه بين الأندلسيين الذين أنتجوا شعرا يشبهه ويفوقه في بعض الأحيان . وبهذا ظهرت أشعار جديدة . أخذت اتجاها جديدا مع الاتجاه المحافظ . فظهرت الخمريات كقول "يحيى الغزال" :

ولما رأيت الشرب أكدَت سماؤهم

تأبطت زقى واحتسيت عنائى

فلما أتيت الحان ناديت ربّه

فهب خفيف الروح نحو ندائي

قليل هجوم العين إلا تعلة

علي وجل منى ومن نظرائى

فقلـــت أذقنيهـــا فلمـــا أذاقنـــى

طرحـــت عليـــه ربطتـــى وردائـــي

وقلـــت أعرنـــى بذلـــة اســـتتر بهـــا

بـــذلت لهـــا فيهـــا طـــلاق نســـائى

فـــو الله مـــا بـــرت يمينـــى ولا وقـــت

لـــه غـــير أنـــى ضـــامن بوفـــائى

وأبـــت إلـــي صـــبحى ولم أك آيبـــا

فكـــل يفـــدّينى وحـــق فـــدائى

ولعل طبيعة الإقليم . وطبيعة أهله وميلهم إلي طلب المتعة والسرور . كل ذلك جعلهم يستعيضون عن الجانب الذهنى بالعاطفة الرقيقة . والموسيقى الراقصة . مما كان سببا في ظهور الموشحات التي قامت أساسا علي الموسيقي التي تلبي حاجات الغناء . وفيها ما يصح إدراجه في الشعر الجيد لبروز العاطفة الرقيقة فيه . ومن القصائد التى تناولت موضوعا جديدا قصيدة "ابن حمديس" في رثاء صديقته "جوهرة" التى ماتت غرقا .

**يقول ابن حمديس :-**

يهـــدم دار الحيـــاة بانيهـــا

فـــأى حـــىّ مخلـــد فيهـــا

وإن تـــردت مـــن قبلنـــا أمـــم

فهـــى نفـــوس ردت عواريهـــا

أمـــا تراهـــا كأنهـــا أجـــم

أســـودها بيننـــا دواهيهـــا

إن ســـالمت – وهـــى لا تســـالنا

أيامنـــا حاربـــت لياليهـــا

وأوحشـــتنا مـــن فـــراق مؤنســـة

يميتنـــى ذكرهـــا ويحييهـــا

أذكرهـــا والـــدموع تســـبقنى

كـــأننى للأســـى أجاريهـــا

يـا بحـر . أرخصـت غـير مكـترث

مـــن كنـــت لا للبيـــاع أغليهـــا

جـــوهرة كـــان خـــاطرى صـــدفا

لهـــا أقيهـــا بـــه وأحميهـــا

أَبتـــّها في حشـــاك مغرقـــة

وبـــت في ســـاحليك أبكيهـــا

ونفحـــة الطيـــب في ذوائبهـــا

وصـــبغة الكحـــل في مآقيهـــا

عانقهـــا المـــوج ثـــم فارقهـــا

عـــن ضـــمة فـــاض روحهـــا فيهـــا

ويلـــى مـــن المـــاء والـــتراب ومـــن

أحكـــام ضـــدين حكمـــا فيهـــا

أماتهـــــا ذا ، وذاك غيّرهـــــا

كيـــف مـــن العنصـــرين أفـــديها

ومن التجديد في هذه القصيدة أن الشاعر حول المناسبة الخاصة إلي مناسبة إنسانية خالدة ، والقصيدة تتميز بالبساطة اللغوية ، والصور الدقيقة المحكمة ، والمثال الثاني الذي أخذناه لنبين اتجاه التجديد قصيدة "لابن خفاجة" في وصف الجبل ***يقول فيها*** :

وحيـــدا تهدهـــدني الفيـــافي فـــاجتلى

وجـــوه المنايـــا في قنـــاع الغياهـــبِ

ولا جـــار إلا مـــن حســـام مصـــمم

ولا دار إلا في قتـــــود الركائـــــبِ

ولا أنســـى إلا أن أضـــاحك ســـاعة

ثغـــور الأمـــاني في وجـــوه المطالـــبِ

بليـــل إذا مـــا قلـــت قـــد بـــاد فانقضـــى

تكشـــف عـــن وعـــد مـــن الظـــن كـــاذبِ

وأرعـــن طمـــاح الذؤابـــة بـــاذخ

يطـــاول أعنـــان الســـماء بغـــاربِ

يسـد مهـب الـريح مـن كـل وجهـة

ويـــزحم لـــيلا شـــهبه بالمناكـــبِ

وقـــور علـــي ظهـــر الفـــلاة كأنـــه

طـوال الليـالي مطـرق في العواقـبِ

يلـــوث عليـــه الغـــيم ســـود عمـــائم

لهـا مـن ومـيض الـبرق حمـر ذوائـبِ

أصـخت إليـه وهـو أخـرس صـامت

فحـدثني ليـل السـرى بالعجائـبِ

وقـــال : ألا كـــم كنـــت ملجـــأ فاتـــك

ومـــــوطن أواه تبتـــــل تائـــــبِ

وكـم مـرّ بـي مـن مـدلج ومـؤوب

وقـــال بظلـــي مـــن مطـــيّ وراكـــبِ

ولاطـم مـن نكـب الريـاح معـاطفى

وزاحـم مـن خضـر البحـار جـوانبى

فمـا خفـق أيكـى غـير رجفـة أضـلع

ولا نـوح ورقـى غـير صـرخة نـادب

ومـــا غـــيّض الســـلوان دمعـــى وإنمـــا

نزفـــت دمـــوعى في فـــراق الأصـــاحبِ

فحتـــى متـــى أبقـــي ويظعـــن صـــاحب

أودع منـــــه راحـــــلا غـــــير آيـــــبِ

وحتـــى متـــى أرعـــى الكواكـــب ســـاهرا

فمـــن طـــالع أخـــري الليـــالي وغـــاربِ

فرحمـــاك يـــا مـــولاى دعـــوة ضـــارع

يمـــد إلـــي نعمـــاك راحـــة راغـــبِ

فـــأسمعنى مـــن وعظـــه كـــل عـــبرة

يترجمهـــا عنـــه لســـان التجـــاربِ

فسلّى بمـا أبكـى . وسـرّى بمـا شـجا

وكـان علـي ليـل السـرى خـير صـاحبِ

وقلـــت وقـــد نكبـــت عنـــه لطيفـــه

ســـلام فأنـــا مـــن مقـــيم وذاهـــبِ

ومـن الجديـد في القصـيدة تنـاول ابـن خفاجـة الجبـل الـذى عكـس شخصـيته الحزينـة عليـه . وكـأن الشـاعر قـد حـل في الطبيعـة . وكأنمـا الطبيعـة قـد حلـت في الشـاعر. وقـد وظـف الشـاعر أدواتـه الفنيـة بمهـارة تمثلـت في الاسـتبطان الـذاتي

والتشخيص البليغ الذى دار عليه حديث الجبل . والقصيدة عموما من عيون الشعر العربي في عمومه .

ومن الموضوعات الجديدة التي لم يطرقها شاعر من قبل قصيدة "لأبي المخشيّ" يصور فيها تجربته مع العمى ***يقول فيها*** :

خضـــعت أم بنـــاتى للعـــدا
إذ قضـــى الله بـــأمر فمضـــى
ورأت أعمـــى ضـــريرا إنمـــا
مشـــيه في الأرض لمـــس العصـــا
فبكـــت وجـــدا وقالـــت قولـــة
وهـــى حـــرّى بلغـــت منـــى المـــدى
ففـــؤادى قـــرح مـــن قولهـــا
مـــا مـــن الأدواء داء كـــالعمى
وإذا نـــال العمـــى ذا بصـــر
كـــان حيّـــا مثـــل ميـــت قـــد ثـــوى
وكـــأن النـــاعم المســـرور لم
يـــك مســـرورا إذا لاقـــي الـــردى
أبصـــرت مســـتبدلا مـــن طرفـــة
قائـــدا يســـعى بـــه حيـــث ســـعى

بالعصـــا إن لم يقـــده قائـــد

وســؤال النـــاس يمشـــي إن مشـــي

ورغم ذكر بعض المشارقة الأقدمين لعماهم . فإنهم لم يصوروا محنتهم كما فعل "أبو المحشى" وإنما ما فعلوه هو ذكر إخباري عرضي مقتضب .

ومن الجديد أيضاً المجونيات كقول "المطرف بن عبد الرحمن الأوسط" :

أفنيـــت عمـــرى في الشـــر ب والوجـــوه المـــلاح

ولم أضـــيع أصـــيلا ولا اطـــلاع صـــباح

أحيـــى الليـــالي ســـهدا في نشـــوة وقـــراح

ولســـت أسمـــع مـــاذا يقـــول داعـــي الفـــلاح

والجديد في القصيدة أسلوب القص والتفصيل والتعبير باللفظة البسيطة الواضحة . والجملة الرقيقة الجديدة .

وعموما كان الاتجاه الشعري أحد صور تجديد الشعر . وقد تجسم هذا الاتجاه في الموشحات . وإذا تأملنا الموشح أسلوبا ومعنى وصياغة فسنجده يختلف عن الشعر المسمط وغيره من فنون شعراء المشرق . فهو قد نظم من أجل الغناء والموسيقي .

وقد ظهر الموشح في الأندلس دون المشرق . ولم ينجح المشارقة في تقليده ؛ لأن الأندلسيين كانوا أمهر في صياغة هذا اللون من الشعر عن المشارقة . والشاعر المشرقي الوحيد الذي استطاع أن يأتي بموشحة خالية من التكلف هو "ابن سناء الملك" .

والموشحات ثورة علي نظام القصيدة في الأوزان والقوافى فعلي الرغم أنها نظمت أولا علي البحور القديمة ما لبثت أن تحررت منها في بحور كثيرة تألفها الأذواق وتعشقها الآذان . ومثال الموشح المتحرر من قافية القصيدة قول الوزير أبي عبد الله لسان الدين الخطيب :

**مطلع :**

جادك الغيث إذا الغيث همى

يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلما

في الكرى أو خلسة المختلس

**غصن :**

إذ يقود الدهر أشتات المنى

تنقل الخطو علي ما ترسم

زمرا بين فرادي وثنى

مثلما يدعوا لوفود الموسم

والحيا قد جلل الروض سنا

فسنا الأزهار فيه تبسم

**قفل :**

وروى النعمـــان عـــن مـــاء الســـما

كيـــف يـــروى مالـــك عـــن أنـــس

فكســـاه الحســـن ثوبـــا معلمـــا

يزدهـــى منـــه بـــأبهى ملـــبس

ومن الموشحات التي تسمى بالمكفر أو المطهر موشح محيي الدين بن عربي وهو علي نظم موشح "ابن زهر الأشبيلى" :

**المطلع :**

عنـــــدما لاح لعينـــــى المتكـــــا

ذبـــت شـــوقا للـــذى كـــان معـــى

**الغصن :**

أيهـــــا البيـــــت العتيـــــق المشـــــرفَ

جـــــاءك العبـــــد الضـــــعيف المســـــرفُ

عينـــــه بالـــــدمع دومـــــا تـــــذرفُ

**القفل :**

فريـــــة منـــــه ومكـــــر فالبكـــــا

لـــــيس محمـــــودا إذا لم ينفـــــعِ

**الغصة :**

أيهـــا الســـاقي اســـقنى لا تأتـــلِ

فلقـــد أتعـــب فكـــرى عـــذلى

ولقـــد أنشـــده مـــا قيـــل لى

**القفل :**

أيهـــا الســـاقي إليـــك المشـــتكى

ضـــاعت الشـــكوى إذا لم تنفـــعِ

ومن الموشحات موشح "ابن زهر الأشبيلى" الذى سار علي نمطه الموشح السابق . والتى أوقعت بعض الباحثين في الخطأ فنسبوها إلي ***"ابن المعتز"*** :

أيهـــا الســـاقى إليـــك المشـــتكى

ضـــاعت الشـــكوى إذا لم تنفـــعِ

ومن الموشحات موشح "ابن زهر الأشبيلى" الذى سار علي نمطه الموشح السابق . والتى أوقعت بعض الباحثين في الخطأ فنسبوها إلي "ابن المعتز" :

أيهـا الساقي إليـك المشتكى قـد دعونـاك وإن لم تسمعِ

ونـــــــديم هِمـــــــت في غرّتـــــــه

وشـــــــربت الـــــــراح مـــــــن راحتـــــــه

كلمـــــا اســـــتيقظ مـــــن ســـــكرته

جـــذب الـــرّقّ إليـــه واتكـــى

وســـــقانى أربعـــــا في أربـــــعِ

غصـــن بـــان مـــال مـــن حيـــث اســـتوى

بـــات مـــن يهـــواه مـــن فـــرط الجـــوى

خـــــافق الأحشـــــاء موهـــــون القـــــوى

كلمـــا فكـــرت في الـــبين بكـــى

مالـــه يبكـــى بمـــا لم يقـــعِ

لـــــيس لى صـــــبر ولا لـــــي جلـــــدُ

يـــــا لقـــــومى عـــــذلوا واجتهـــــدوا

أنكـــــروا شـــــكواى ممـــــا أجـــــدُ

مثـــل حـــالي حقـــه أن يُشـــتكى

كمـــد اليـــأس وذل الطمـــعِ

مـــــا لعينـــــى عشـــــيت بـــــالنظر

أنكـــــرت بعـــــدك ضـــــوء القمـــــر

وإذا مـــــا شـــــئت فـــــاسمع خـــــبرى

شـقيت عينـاى مـن طـول البكـا

وبكـى بعضـى علـي بعضـي معـى

كبـــــد حـــــرّى ودمـــــع يَكِـــــف

يعـــــــــرف الـــــــــذنب ولا يعـــــــــترفُ

أيهـــــــا المعـــــــرض عمّـــــــا أصـــــــفُ

قـــد نمـــا حبـــك عنـــدى وزكـــا

لا يظـــن الحـــبُّ أنـــى مـــدعى

وبذلك نستطيع أن تقول : إن الموشح ربما يبدأ بمطلع يتفق وزنه مع القصيدة ولكنه ذو قافية موحدة ثم يأتى بعده غصنا وهو ذو قافية مختلفة عن قافية المطلع مع اتحاده في الوزن ثم يأتى ما يسمى "قفلا" وهو متحد مع المطلع في قافيته والغصن مع القفل يسمى مجموعهما بيتا والقفل الأخير في القصيدة يسمى "خرجة".

**ومثال آخر لموشح وزنه جديد قول عبادة القزاز :**

فالوصـــال مـــا قـــد خـــلا مـــن أمـــل فايـــتِ

والخيـــال مـــا قـــد عـــلا مـــن نفـــس خافـــتِ

قـــاتلى اهـــدر دمـــا مـــن قـــد غـــدا ملحـــدا

واصـــلى كنـــت فمـــا عمـــا بـــدا قـــد عـــدا

ســـائلى مســـتفهما حـــين الـــردى اعتـــدا

**وبذلك نرى للموشحات جانبين :**

**الأول : جانب موسيقى :**

ويتمثل في تنويع الوزن والقافية . وقد جاء هذا الجانب – كما قلنا من قبل استجابة لحاجة الأندلس الفنية .

**الثانى : جانب لغوى :**

ويتمثل في أن تكون الموشحة فصيحة في فقراتها . عامية في خرجتها . وهذه الازدواجية جاءت من تعريب الأغانى الأعجمية . ووضع الكلمات للألحان الأعجمية مع التقيد بالأوزان العربية لا سيما ما كان منها مهملا .

وعموما أوزان الموشحات تجديد في أوزان الشعر العربي . وهي في نشأتها تعد مرحلة من مراحل تطور القافية والأوزان معا . والحقيقة أن الوشاحين قد أضافوا الكثير من حيث طريقة النظم والصور والأخيلة فارتفعوا بالموشح من درجته الشعبية إلي درجة الأدب الراقي . وقد عدّ بعض الباحثين الموشحات انطلاقة كبري لتحرير أخيلة الشعراء وأساليبهم . ولو تطورت الموشحات التطور الصحيح لنشأ عندنا شعر قصصى وآخر تمثيلى . ولكن هذا الأمر لم يتحقق ؛ لأن الشعراء ربطوا الموشح بمواضيع الغناء من غزل ووصف خمر . ثم تناوله بعض الشعراء في المدح والهجاء . فأصاب الموشح ما أصاب القصيدة التقليدية من جمود وفتور . وجاء نفر من المشارقة فحشدوا في الموشح أنواع المحسنات اللفظية وتلاعبوا بالقوافى والأوزان دون أن يأتوا بجديد .

ورغم الحرية الواسعة التي منحها الوشاحون لأنفسهم لم يدر بخلدهم الثورة علي المعاني . واكتفوا بالخروج علي الوزن والقافية وعلي اللغة التي خلطوها بالعامية فقد نص شعراؤها علي أن تكون الخرجة عامية .

ومع أن الموشحات قد توفرت علي الأغراض التي تناسب الغناء فإنها لم تعرف الإبداع في الغزل أو وصف مجالس اللهو أو الخمر أو وصف الطبيعة . ولم تضف جديدا إلي المتوارث العربي في المشرق .

ثم ران علي الشعر العربي عهد من التخلف والجمود حتى سرت إليه نبضات الحياة مع الصحوة العربية في العصر الحديث .

obeikandi.com

**الفصل الثانى :**

# النثر في العصر الأندلسى

لا توجد نماذج ذات شأن من نثر . وإن كان العصر الأندلسى قد عرف بعض الناثرين الذين كان لهم حظ ولو ضئيل من هذه النماذج . فالخطابة كانت ضرورية لظروف الحرب والنزاع القبلي . والمناسبات الدينية والسياسية ، والكتابة كانت ضرورية لظروف الفتح والحكم وتسيير شئون الحكم . والمناسبات الرسمية كعقد صلح أو توجيه رسالة ومن ذلك عهد عبد العزيز بن موسي بن نصير "لتودمير" أحد حكام القوط . وقد جاء فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم" . من عبد العزيز إلى "تودمير" . أنه نزل علي الصلح . وأنه له عهد الله وذمته . ألا ينزع عن ملكه . ولا أحد من النصارى عن أملاكه . وأنهم لا يُقتلون ولا يُسبون أولادهم ونساءهم . ولا يكرهون علي دينهم . ولا تحترق كنائسهم . وأنه لا يأوى لنا عدوا . ولا يخون لنا أمنا . ولا يكتم خبرا يعلمه ...."

ومما حفظ من كتابه تلك الفترة أيضاً جزء من رسالة يوسف الفهرى آخر الولاة إلي عبد الرحمن بن معاوية حين علم بنزوله بالأندلس . والمرجح أن محرر تلك الرسالة هو خالد بن يزيد كاتب يوسف الفهرى . وهذا هو الجزء الذى بقى من الرسالة :

"**أما بعد** ... . فقد انتهي إلينا نزولك بساحل المنكب . وتأبش من تأبش إليك . ونزع نحوك من السّراق وأهل الختر والغدر . ونقض الأيمان المؤكدة التي كذبوا الله فيها وكذبونا . وبه جلّ وعلا نستعين عليهم . ولقد كانوا معنا في ذرى

كنف ورفاهية عيش حتى غمصوا ذلك ، واستبدلوا بالأمن خوفا ، وجنحوا إلي النقض ، والله من ورائهم محيط فإن كنت تريد المال فأنا أولى بك ممن لجأت إليه في كنفك وأضل رحمك ، وأنزلك معى إن أردت أو بحيث تريد . ثم لك عهد الله وذمته بى ، ألا أغدرك ، ولا أمكن منك ابن عمى ....."

**ومن الكتاب القليلين الذين عملوا في تلك الفترة :**

خالد بن يزيد الذى كان كاتبا ليوسف الفهرى أحد ولاة الأندلس ، ومنهم أمية بن يزيد الذي دخل الأندلس مع جنود "بلج بن بشر" واتصل بخالد بن يزيد الذى جعله كاتبا معه .

ونثر تلك الفترة كما نتصور يتناول مسائل الدين وشئون السياسة ، وأمور القبائل في الخطابة ، ويعالج العهود والرسائل والتوقيعات في الكتابة ، أما الخصائص الفنية لهذا النثر فهى خصائص النثر المشرقي الذي كان معروفا في العصر الأموى ، فهو نثر يميل إلي الإيجاز ، ويعنى بقوة العبارة أكثر من عنايته بتجميلها .

## أقسام النثر في العصر الأندلسي

**القسم الأول : النثر الخالص :**

اتسع النثر فلم يعد مقصورا علي الرسالة والخطبة والوصية وغير ذلك ، وإنما شمل القصة ، وكان وصوله إليها أشبه بالطفرة ، فقد وثب إلي القصة الأخروية

بمعنى تناوله أحداثا وأبطالا من عالم آخر غير عالمنا الذي نعيش فيه . ومن أشهر هذه الأعمال "رسالة التوابع والزوابع" لأبي عامر بن شهيد .

وقد تطور النثر كثيرا في فترة صراع الإمارة . وكثر الأدباء الناثرون حتى عدّ لكل أمير من أمراء تلك الفترة كاتبان . فكان من كتّاب الأمير عبد الرحمن الأوسط عبد الكريم بن عبد الواحد وسفيان بن عبد ربه وعيسى بن شهيد . وكان من كتاب الأمير عبد الله بن محمد . عبد الله الزجال . وعبد الله بن أبى عبده . وموسي بن زياد . وقد تأثر النثر في تلك الفترة بأسلوب عبد الحميد بن يحيى الكاتب المشرقي الذي لمع في أواخر العصر الأموى . والذى كان أول من أطال الرسائل وأكثر من التحميدات . كما تأثر بأسلوب الجاحظ الذي تألق في العصر العباسي . والذى وصلت كتبه إليهم في حياته ككتاب "التربيع والتدوير" و "البيان و التبيين" كما تتلمذ عليه بعض الأندلسيين حتى امتدت تلمذة بعضهم إلي عشرين سنة . ومن النماذج النثرية في فترة صراع الإمارة خطب ألقاها الأمير عبد الرحمن الأوسط بعد دفن والده . وفي تلك الخطبة وضحت تأثيرات عبد الحميد الكاتب فهي ذات مقدمة مسهبة وتحميد مطنب وفيها يقول : "الحمد لله الذى جعل الموت حتما من قضائه . وعزما من أمره . وأجرى الأمور علي مشيئته . فاستأثر بالملكوت والبقاء . وأذل خلقه فما لهم نجاة من العناء . تبارك اسمه . وتعالي جدّه . وصلي الله علي نبيه ورسوله وسلم تسليما . وكان مصابنا بالإمام – رحمه الله – مما جلت به المصيبة . وعظمت به الرزية . فعند الله نحتسبه . وإياه نسأل إلهام الصبر . وإليه نرغب في

كمال الأجر والذخر. وقد عهد إلينا فيكم بما فيه صلاح أحوالكم . ولسنا ممن يخالف عهده . بل لكم لدينا المزيد إن شاء الله" .

ومن الرسائل التي تأثر صاحبها بأسلوب الجاحظ رسالة الأمير "محمد بن عبد الرحمن الأوسط" إلي "عبد الملك بن أمية" وكان قد أختاره كاتبا له . يقول الأمير في رسالته : "قد فهمنا عنك . ولم نأت ما أتيناه عن جهل بك . لكن اصطناعا لك . وعائده عليك . وقد أبحنا لك الاستعانة بأهل اليقظة من الكتّاب . فتخير منهم من تثق به . وتعتمد عليه . ونحن نعينك علي أمرك بتفقد كتبنا والإصلاح عليك . إلي أن تركب الطريقة . وتبصر الخدمة . إن شاء الله تعالي" .

وفي هذه الرسالة يظهر التأثر بأسلوب الجاحظ ففيها تفنن الكاتب في استخدام حروف الجر . وأوردها في تقابل بارع . وفيها أيضا الجمل القصار المتتابعة في غير تكرار أو إملال .

ومن التوقيعات رد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط علي رسالة الوليد بن عبد الرحمن بن غانم الذى طلب من الأمير أن يقربه منه ويسند إليه بعض المناصب الكبيرة ***حيث كتب*** :

"إن شاء الله شاكر يحب الشاكرين . وقد ناديت فأسمعت . ولكل أجل كتاب" .

ومن المحاورات ما كان بين الأمير عبد الله ومولى من مواليه حيث اعتذر المولي عن خطأ صدر منه . ***فقال له الأمير*** :

"إن مخائل الأمور لتدل علي خلاف قولك . وتنبئ عن باطل تنصلك . ولو أقررت بذنبك . واستغفرت لجرمك . لكان أجمل بك . وأسدل لستر العفو عليك" .

**فقال المولي :**

"قد اشتمل الذنب علىّ . وحاق الخطأ بى . وإنما أنا بشر . وما يقوم لي عذر" . **فقال الأمير :**

"مهلا عليك . رويدا بك . تقدمت لك خدمة . وتأخرت لك توبة . وما للذنب بينهما مدخل . وقد وسعك الغفران" .

إذا تأملنا النماذج وجدناها تختلف عن نماذج الفترة السابقة . فهنا نرى مراعاة للقيم الجمالية . ونلمح المحسنات الأسلوبية في التقابل بين الكلمات أو الجمل . وأيضاً في الازدواج بين الألفاظ والتراكيب وأحيانا في السجع المقبول غير المتكلف . والتعبير المصقول . بالإضافة إلي العناية بالمقدمات .

**القسم الثاني : النثر التأليفى :**

وهو كتابات نثرية تأليفيه ذات قيمة كبيرة من حيث الموضوعات التى تعالجها وأهم هذه الكتابات كتابات ابن شهيد المتصلة بالنقد الأدبي . وكتابات ابن حزم في فلسفة الحب والتي أودعها كتابه الرائع "طوق الحمامة" .

وقد نهضت الثقافة في عهد عبد الرحمن الداخل وابنه نهضة شاملة . فقد أتاح الخليفتان كل ما من شأنه أن ينهض بالثقافة فعملا علي تشجيع القادمين إلي الأندلس من علماء الشرق . كما جلبا الكتب القيمة من شتى الأقاليم . .

وكذلك الحث والتأليف في شتى الفنون . وليس أدل علي نهضة الأندلس الثقافية في فترة الخلافة من وفرة العلماء والمؤلفات في أغلب فروع المعرفة .

والمتتبع لمؤلفات تلك الفترة سيرى اتجاها واضحا لكل ما هو أندلسى . ففي التاريخ الأندلسي يكتب ابن القوطية وغيره . وفي رجال الأندلس يكتب خالد بن سعد . وفي قضاة قرطبة يكتب الخُشنى . وفي شعراء الأندلس تُكتب عدة كتب منها عشر أجزاء في شعراء إقليم "إلبيرة" . كما يكتب ابن فرج كتاب "الحدائق" الذى يعارض فيه كتاب "الزهرة" لمحمد بن داود . وقد تضمن هذا الكتاب أخبار الشعراء الأندلسيين حتى القرن الرابع الهجري وللأسف أكثر المؤلفات في تلك الفترة قد ضاع ولم يبق مما فقد إلا مقتبسات في كتب ألفت بعد ذلك .

وأما الفرع الثاني من فروع النثر التأليفي هو فرع التأليف الأدبى . وقد جمع التأليف الأدبي بين مختارات الشعر والنثر وبين اللغة والرواية وبين البلاغة والنقد وما إلي ذلك من فروع الثقافة العربية الخالصة .

## لمحة عن الأدب الأندلسى

### تميز الشعر الأندلسي عن الشعر المشرقي بملاحظتين :

**الأولي :**

أنه سار في أوزانه وقوافيه وأغراضه علي نهج الشعر المشرقي باستثناء الموشحات والزجل وذلك لشعور الأندلسيين بأنهم جزء من العالم العربي ولإيمانهم بأن المشرق مهد اللغة والإسلام والخلافة الأولي وكان من نتيجة ذلك عكوفهم علي الشعر القديم وتأثرهم بشعر المشارقة .

الثانية :

أن مدارس الشعر الأندلسي تأثرت بالشعراء المشارقة كالمتنبي والبحترى وأبي نواس وغيرهم وذلك لأن الشعر الأندلسي ظهر متأخرا زمنيا . فكل اتجاه جديد في المشرق كان يظهر في الأندلس متأخرا .

وقد اهتم شعراء الأندلس ببعض الأغراض مثل : الوصف ورثاء المدن الزائلة . والاستنجاد بالرسول ﷺ وكبار الصحابة . ونظم العلوم والفنون كنظمهم في القراءات والنحو . كما أنهم أهملوا بعض الأغراض مثل : الزهد لرخاء حياتهم والشعر الفلسفي لانصراف الشعراء إلي اللهو والمرح ومجالس الغناء وكان من عوامل أزدهار الشعر تشجيع الخلفاء والأمراء للشعر والشعراء . ومنافسة الشعراء لمقر الخلافة في بغداد . وللرقي الحضاري الذي وصلت إليه الأندلس . ولشيوع الغناء الذي أدي إلي انتشار الشعر .

***وقد تحقق في الشعر الخصائص الفنية التالية:***

١- الميل للوضوح والبساطة .

٢- البعد عن التعقيد والغموض .

٣- التلميح إلي الوقائع التاريخية .

٤- الاهتمام بالصناعة اللفظية والزينة الشكلية .

٥- رقة وعذوبة الألفاظ لا سيما في شعر الغزل .

٦- إبداع أوزان وقواف جديدة كما حدث في الموشحات .

# مراحل الأدب الأندلسي

**(أ) عصر الولاة ( ٩٢ — ١٣٨هـ ) :**

**أولاً : الشعر :**

وهو يعتبر امتدادا للشعر الأموى فليس له من أندلسيته سوى أنه قيل في الأندلس وكان يميل إلي الخشونة وبساطة الأفكار والصور ويناسب طبيعة الناس وظروفهم .

**ثانياً : النثر :**

وهو أكثر حظا من الشعر فقد ازدهرت الخطابة والكتابة لظروف الحرب والصراع والفتوحات وكان أيضاً امتدادا للنثر الأموى في خصائصه من حيث الإيجاز والبلاغة وعدم التقيد بالمقدمات الطويلة والألقاب المتعددة . وكانت موضوعاته تدور حول الدين والسياسة وأمور القبائل والعهود والرسائل والتوقيعات.

**(ب): عصر الإمارة ( ١٣٨ — ٢٠٦هـ ) :**

**أولاً : الشعر :**

حفل الشعر في هذه الفترة ببعض مظاهر التجديد لظهور أول جيل من الأدباء الأندلسيين . ولمشاركة الحكام في الأدب ولظهور السمات الأولي للشعر الأندلسي . وقد ظهر فيه بعض التجديد .

- وقد اتجه الشعر في هذه الفترة إلي اتجاهين :

**١- الاتجاه المحافظ :**

وقد اهتم هذا الاتجاه بالموضوعات التقليدية والسير علي نهج القدماء في القصيدة والتأثر بالصور القديمة واستيفاء أسلوب القصيدة من الواقع التراثى .

**٢- الاتجاه التجديدى وينقسم إلي قسمين :**

الأول : التجديد الموضوعى : كتصوير أبى المخشىّ لعمى بصره .

الثانى : التجديد الفنى : عن طريق وضوح العاطفة واستعمال اللفظ الموحى

**ثانياً : النثر :**

وقد تمثل في الخطب والرسائل والوصايا والمحاورات وقد تأثر بالنثر المشرقي .

**(ج): عصر صراع الإمارة ( ٢٠٦ — ٣٠٠هـ ) :**

وقد نهض فيه الأدب نهضة شاملة كان من أسبابها الرقي الاجتماعي والثقافي والصراع العنصرى والامتزاج بين القوميات في الأندلس . وكان من مظاهر النهضة أن الشعر لم يعد مقصورا علي التقليد بل ظهرت اتجاهات حديثة بعضها وافد من الشرق وبعضها نابع من الأندلس كالموشحات وكطرح موضوعات جديدة في شعرهم ورغم عنصر التجديد في النثر إلا أن النثر ظل متأثرا بالنثر المشرقي علي يد عبد الحميد بن يحيى والجاحظ .

**(د): عصر الخلافة ( ٣٠٠ — ٤٢٢ هـ ) :**

وفيه ازدهرت الحياة الثقافية والأدبية لتأصل الثقافة العربية والاهتمام بالعلم والتعليم ولإنشاء المكتبات الجامعة ولتشجيع الخلفاء للأدباء والعلماء وأرباب الفنون وقد كان من مظاهره ظهور اتجاهات جديدة في الشعر فقد أدت النهضة العلمية إلي استحداث بعض الأفكار الشعرية . كذلك ظهر التأثر للأدب بما يشتمل عليه من تراجم وأخبار ومختارات مما ساعد علي وفرة الإنتاج الأدبي وانتشاره .

**(هـ): عصر ملوك الطوائف ( ٤٢٢ — ٨٩٧هـ ) :**

كان لهذا العصر سمات أدبية منها امتلاء قصور الملوك بالعلماء والفقهاء والشعراء . أيضاً لم تعد قرطبة المركز الثقافي الأكبر في الأندلس . بل تعدى ذلك الحواضر الأدبية الأخري . كذلك صار التنافس السياسي بين الملوك . وقد أدت حياة الترف إلي تطور بعض الأغراض الشعرية كتطور الغزل علي يد ابن زيدون والوصف علي يد ابن خفاجة . كما نشأت الموشحات علي يد ابن زهر الإشبيلى واستقرت تقاليدها .

**(ج): عصر المرابطين والموحدين :**

ظهرت فيه مراثى المدن والممالك مثل رثاء ابن سهل لإشبيلية . وبدأ الانهيار الثقافي . وتراجع الإبداع في الشعر والنثر ومع ذلك ازدهر الشعر الصوفي علي يد محيى الدين بن عربى .

**(ط): عصر بنى الأحمر بغرناطة :**

وفي عصرهم أصبح الشعر حديثا عن ذكريات الماضي . فقد فقد الشعراء حماسهم وشاعت في أشعارهم الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية .

**(ى): القرن التاسع الهجري :**

وفيه تدهورت الأحوال السياسية والعسكرية في غرناطة مما أدى إلي سقوطها وكذلك تدهورت حياة الأدب والشعر بل تلاشت بخروج المسلمين من الأندلس وأسدل الستار علي دولة فتية رفعها الإسلام ولم يحافظ عليها المسلمون .